المحاضرة الثانية : نظرية العناية الإلهية (بوسيه)

(هل أحداث التاريخ تسير وفق حتمية دينية ؟)

2 ـ نظرية العناية الإلهية عند بوسويه

بوسوية Boussouet Jaques

جاك بنين ولد في ديجون الفرنسية في 27 سبتمبر 1627م، وتوفي في 12 أفريل 1704 بباريس، درس بمسقط رأسه اللاهوت والقانون في متز[1]، قد ذاعت شهرته في باريس كواعظ ديني مؤكدا على سلطة الكنيسة ودورها الضروري لحماية الأنا الأوروبي الذي كان يتعرض لهجومات دفاعية من طرف العثمانيين، وقدر سمي قسيسا عام 1652م، يعتبر كتابه discours sur l'histoire universelleمقال في التاريخ العالمي، الذي صدر سنة 1681 يحذر في هذا الكتاب ذوي الاتجاه العلماني من الخطر القادم من الشرق، لذلك فقد اتسمت كتاباته بـ " جاء الشرقيون فاحتلوا وقتلوا"[2]

وقد فرضوا ديانتهم، يقصد بذلك دولة الخلافة العثمانية التي كانت في موقع المدافع عن حواضر الأندلس الذين كانوا يفرون بجنودهم خوفا من مصالح التفتيش وما تصدره من أحكام بالشنق والحرق ضد كل من تشم منه رائحة الإسلام أو العروبة، ولم يكتف المسيحيون بذلك بل لاحقوا مسلمي الأندلس وقبرص إلى سواحل شمال إفريقيا، وهذا ما جعل العلاقة العثمانية تقف موقف المدافع إلا أن " بوسويه" وبعده كتب أصدرها بعد الكتاب الأساسي الذي عد به فيلسوف التاريخ وخاصة كتابه رسالة في معرفة الله ومعرفة ذاته، السياسة مستخلص من الكتاب المقدس، التاريخ فرق الكنائس البروستيكية.

لكن اتجاهه لم يكن جديدا بل امتداد لما ذهب إليه القديس أوغسطين، ولقد استولت عليها فكرة الخطيئة حتى في تبرير أحداث التاريخ ولأنه يريد أن يقول للأنا الغربي المسيحي إنك ابتعدت عن تعاليم المسيح، لذلك فقد خسرت الحروب الصليبية عند الأخر و تركت لهم بيت

[1] - Dictionnaire des acteurs , T1 , P385

[2] ـ أحمد محمود صبحي: **فلسفة التاريخ**، مرجع سابق، ص 143

المقدس، ومند ذلك الحين والآخر الشرقي المسلم التركي ينتصر على الأوروبيين من موقعه إلى أخرى وقد استولى حتى على عاصمة المسيحيين الشرقية (القسطنطينية) التي فتحها السلطان العثماني "محمد الفاتح" سنة 1453 ، وبعدها بفترة وجيزة كان المسلمون الإسبان قد طردوا المسلمين من الأندلس وذلك 1492م، هذه المسألة لم يتعرض لها بوسوية باعتباره يمثل الأنا الأوروبي المتعجرف الأناني النرجسي لأنه يركز فقط على الحملات التي قام بها العثمانيين ضد الأوربيين وهي حفلات دفاعية.

لقد ركن بوسوية إذن في مؤلفاته على الأمم الأوربية والديانة المسيحية والخطر الوهمي الذي يحدق بها أو مصدره الشرق.

لقد قسم التاريخ إلى أحقاب على أساس ديني مستمد من الكتاب المقدس، ومن هنا فإن أهم أحداث التاريخ وكما وردت في الكتاب المقاس:

- هبوط آدم عام 404 قبل الميلاد.
- طوفان نوح عام 2348 قبل الميلاد.
- دعوة إبراهيم 1921 قبل الميلاد.
- نزول شريعة موسى1491 قبل الميلاد.
- ثم ظهور السيد المسيح، أما أهم الوقائع بعد ظهور المسيحية فهما اثنان:
- اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية عام 312م.
- تتويج شارلمان إمبراطور على الرومان 800م.[3]

مما سبق تبين أن المادة التاريخية لبوسويه مستخلصة من الكتاب المقدس وليس من وثائق التاريخ ومستنداته والتاريخ عنده تحكم شعوبه قوانين وضعية قبل شريعة موسي، ثم قانون سماوي منذ موسى وإلى أن تمت النعمة الإلهية بالمسيح.

---

[3] ـ أحمد محمود صبحي: **فلسفة التاريخ**، مرجع سابق، ص 143

نلاحظ أن بوسويه و كنتيجة تستخلصها مما سبق أنه لم يتعرض لمولد محمد - صلى الله عليه و سلم - ولا لهجرته ولا لدعوته التي تعتبر امتداد لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

فيما بعد نلاحظ أن هيغل قد تأثر كثيرا بمثل هؤلاء الفلاسفة الذين قد تجاهلوا بصفة كلية ما ورد في كتبهم المقدسة سواء منها العهد القديم أو الحديث عن مجيئ الرسول اسمه أحمد كما ورد في القرآن الكريم.

إذن: فهو يعتبر الدين هو الظاهرة الجديرة بالتسجيل بين جميع مظاهر الحضارة، ذلك أنه التراث الروحي للشعوب و لأنه الحقيقة الخالدة على مر الزمنان، غير أن بوسويه لم يضع في عين الاعتبار غير تاريخ العبرانيين، أو المسيحيين لأن أديان الحضارات القديمة ليست سوى انحرافات، أما الإسلام فهو يتجاهله تماما، علما أن بوسويه في تفسير للتاريخ يربط الكنيسة و العناية الإلهية.

و في هذا السياق يؤكد أن التاريخ يهدف إلى إعلاء كلمة الله و التي يقصد بها سلطة الكنيسة و هكذا يتضح لنا أن مفهوم العناية الإلهية عند رجال الدين المسيحيين لم تتجاوز إطار العقيدة المسيحية بل ضيقوا في مفهومها و قيدوها بسلطات الكنيسة الكاثوليكية مقللين من شأن الحضارات القديمة و العريقة مثل الصينية و الهندية و البابلية و الآشورية و المصرية ناهيك عن العربية الإسلامية و الديانة السمعية التي عملوا بكلف ما أوتوا من قوة الحط و التقليل من شأنها.